

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التوبة والقرب الإلهي

إن من الطواف الله تعالى على عباده فتح باب التوبة إلى آخر لحظة من عمر الإنسان، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ». وهذا المعنى قد يستغله البعض استغلالاً خاطئاً فيتبادى في الذنوب والآثام بحجة أنه يتوب قبل موته!! وهو غافل عن أن أجله قد يحين وهو مقبم على المعصية، بقول تعالى: «إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» بونس/ ٤٩.

وفي آية أخرى قال عز وجل: «أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بونس/ ١٠٧.

ويقول سبحانه: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَمَى * وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» النازعات/ ٣٤-٣٩.

فلا ينبغي للإنسان المؤمن أن يغفل عن هذا المعنى فيكتب من المسوفين الغافلين، فلا تأخذك زهوة شبابك، والغرور بكثرة مالك ومنتصبك ووسطونك وقوة بدنك، فاعلم أن كل ذلك زائل عنك ومرحل: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» الرحمن/ ٢٦-٢٧.

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ملكاً ينزل كل ليلة فينادي: يا أبناء العشرين جدوا واجتهدوا، ويا أبناء الثلاثين لا تغرّنكم الحياة الدنيا، ويا أبناء الأربعين ماذا أعدتكم للقاء ربكم، ويا أبناء الخمسين أتاكم التذير، ويا أبناء الستين زرع أن حصاده، ويا أبناء السبعين نودي لكم فأجيبوا، ويا أبناء الثمانين أتكم الساعة وأنتم غافلون، ثم يقول: لولا عبادٌ رجع ورجال خشع وصبيان رضع وأنعام رنع لصب عليكم العذاب صباحاً»

مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٥٧.

إن العبد إذا أذنب ذنباً أمهله الله سبع ساعات فإن استغفر غفر له، فعن الإمام الصادق ﷺ: «العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أمهله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء»، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سببته، وإن المؤمن لبذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له» الكافي: ج ٢ ص ٤٣٧.

ومن الجميل جداً أن العبد المذنب بمجرد أنه يرجع إلى الله ويتوب توبة نصوحة يقلب الله سببته حسنات وهذا ما يعبر عنه بكيمياء الله)، بل ورد في القرآن والسنة الشريفة أن النائب حبيب الله قال جل ذكره: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» البقرة/ ٢٢٢.

وقال رسول الله ﷺ: «النائب حبيب الله، والنائب من الذنب كمن لا ذنب له» جامع السعادات: ج ٣ ص ٥١.

وعن أبي الحسن ﷺ: «أحب العباد إلى الله النبيون التوابون» جامع السعادات: ج ٣ ص ٥٢.

فإذا أحبه ستر عليه عيوبه وهذا من فضل الله على عبده النائب، قال الإمام الصادق ﷺ: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً، أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكه ما كتب عليه من الذنوب ويوحى إلى جوارحه: اكنمي عليه ذنوبه ويوحى إلى بقاع الأرض اكنمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله - عز وجل - حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب» الكافي: ج ٢ ص ٤٣٠.

وينبغي للمؤمن أن يتأنى ويتروى فسي أقواله وأفعاله ولا يقدم على أي عمل إلا بعد النظر فيه وفي عواقبه فان هذا المعنى يقى الإنسان من الوقوع في كثير من المحرمات والشبهات، وهذا ما بوصينا به رسول الله وأهل بيته (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) كما جاء في الخبر المروي عن الإمام الصادق ﷺ: «إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله أوصني؟ فقال له رسول الله ﷺ: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك؟ حتى قال له ذلك ثلاثاً وفي كلها يقول له الرجل: نعم

يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن يك رشيداً فأمصه وإن يك غياً فأنه عنه» الكافي: ج ٨ ص ١٥٠.

ومن وقع في شرك الشيطان وركب الحرام فليعجل بالتوبة والاستغفار قبل حلول القوت يقول تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَتَمَلَّوْنَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» النساء: ١٧.

هذا وقد وقع كلام بين المفسرين في المراد من «قريب» فقد ذهب كثيرون إلى أن معناه التوبة قبل أن تظهر آثار الموت وطلوعه، ويستشهدون لهذا الرأي بقوله تعالى: «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَتَمَلَّوْنَ الشَّيْءَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ» النساء: ١٨.

ولكن بعض المفسرين ذهب إلى تفسير لفظه «من قريب» بالزمان القريب من وقت حصول المعصية، فيكون المعنى أن يتوبوا فوراً، ويندموا على ما فعلوه بسرعة، ويتوبوا إلى الله، لأن التوبة الكاملة هي التي تغسل آثار الجريمة وتزيل رواسبها من الجسم والروح بشكل مطلق حتى لا يبقى أي أثر منه في القلب، ولا يمكن هذا إلا إذا تاب الإنسان وندم قبل أن تتجذر المعصية، وتعمق آثارها.

واعلم أن النائب يتوبته يدخل السرور على الله تعالى كما ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «إن الله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها» الكافي: ج ٢ ص ٤٣٥.

وللاستغفار شروط ومقدمات حتى نصل إلى التوبة الحقيقية، فقد جاء عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال لقاتل قال بحضرته ((استغفر الله: تكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.
والثالث: أن تؤذي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أمس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيبتها فتؤذي حقها.
والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذنته حلوة المعصية، فعند ذلك تقول: «أستغفر الله» ((مج البلاغة: ج 4 ص 97.

فيذا عمل كل ذلك، وصل إلى بر الأمان، وفاز بقرب الرحمن وجهه، فيعيش حالة من العزة والكرامة وزهوة النصر فهو قد تغلب على غرائزه وميوله ونفسه الأمارة بالسوء وسواس شياطينه فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَسْمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَتَمَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ التازعات/ 40-41.

لذا تقيم شعبة التبليغ/ قسم الشؤون الدينية في العتبة العلوية المقدسة أسبوع التوبة آخر شهر شعبان من كل سنة استعداداً لاستقبال شهر رمضان المبارك بنفوس صافية وأرواح طاهرة، لتنهل من عذبه الصافي وتتزود من موائده الملى والذي يتضمن مجموعة من الإصدارات والبرامج الدينية، والمحاضرات بالمناسبة نسال الله أن تكون من المستغفرين النائين حق توبته، ومن الذاكرين والمذكورين وأن نضعنا هذه التوبة وهذه التذكرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين.

((نشطات أسبوع التوبة))

- إصدار مجموعة من الكتب
- إصدار مجموعة من البوسترات تتضمن مجموعة من الأحاديث المتعلقة بالمناسبة.
- إصدار فولد بتعلق بالمناسبة.
- إقامة محاضرات في صحن العتبة يومياً على أن تكون المحاضرة في كل يوم عن أحد الذنوب.
- إقامة محاضرات للمتسبين حول الذنوب والتوبة منها.
- إقامة برنامج بالمناسبة في إذاعة العتبة العلوية المقدسة.
- الانساق مع بعض القنصات الفضائية لإضافة شريط إخباري يتضمن أحاديث عن التوبة.
- يكون محور المنبر الفقهي في هذا الأسبوع وكذلك الإرشاد بين الصلاتين حول التوبة من الذنوب.
- توظيف بعض الأحاديث حول التوبة لشرحها على وفود المعتمدين في مسجد الحضراء.
- يكون محور (قضية للنقاش) في صفحة الفيسبوك حول هذا الموضوع.
- أن تتضمن إصدارات العتبة في شهر شعبان اعلانات ومقالات خاصة عن التوبة.



قسم الشؤون الدينية / شعبة التبليغ

أسبوع التوبة